نظرة شرعية

في فكر

د. محمد عمارة

نظرة شرعية في فكر الدكتور محمد عمارة[1]

ترجمته:

- هو الدكتور محمد عمارة.

- ولد عام ١٩٣١م. حصل على الشهادة الابتدائية من معهد دسوق الديني عام ١٩٤٩م، ثم الشهادة الثانوية من معهد طنطا (المعهد الأحمدي).

- التحق بدار العلوم وتأخر حصوله على شهادتها حتى عام ١٩٦٥م بسبب سجنه بتهمة الانتماء إلى التنظيمات اليسارية.

- حصل على الماجستير عام ١٩٧٠م وكانت رسالته حول "مشكلة الحرية الإنسانية عند المعتزلة".

- حصل على الدكتوراه عام ١٩٧٥م وكانت رسالته حول "نظرية الإمامة وفلسفة الحكم عند المعتزلة".

- عمل باحثاً في وزارة الأوقاف، ومستشاراً في الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- متفرغ للعمل الفكري والتأليف.

مؤلفاته: كثيرة؛ منها:

١- القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب.

٢- فجر اليقظة القومية.

٣- العروبة في العصر الحديث.

---

(١) اختصرت هذا المبحث من كتابي "محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة"، وهو مطبوع فمن أراد تفصيل الرد على انحرافات الدكتور فليرجع إليه غير مأمور.

٤- الأمة العربية وقضية الوحدة.

٥- إسرائيل.. هل هي سامية؟

٦- مسلمون ثوار.

٧- عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين.

٨- الإسلام والوحدة الوطنية.

٩- قاسم أمين وتحرير المرأة.

١٠- محمد عبده، مجدد الإسلام.

١١- جمال الدين الأفغاني، موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام.

١٢- عبد الرحمن الكواكبي: شهيد الحرية ومجدد الإسلام.

١٣- علي مبارك، مؤرخ المجتمع ومهندس العمران.

١٤- رفاعة الطهطاوي. رائد التنوير في العصر الحديث.

١٥- المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية.

١٦- الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية.

١٧- المعتزلة وأصول الحكم.

١٨- المعتزلة والثورة.

١٩- نظرة جديدة إلى التراث.

٢٠- عندما أصبحت مصر عربية.

٢١- الجامعة الإسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل.

٢٢- معارك العرب ضد الغزاة.

٢٣- محمد عبده، سيرته وأعماله.

٢٤- المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد.

٢٥- العرب والتحدي.

٢٦- الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب.
٢٧- العدل الاجتماعي لعمر بن الخطاب.
٢٨- نظرية الخلافة الإسلامية.
٢٩- الإسلام والثورة.
٣٠- الإسلام والسلطة الدينية.
٣١- الإسلام والحرب الدينية.
٣٢- ثورة الزنج.
٣٣- التراث في ضوء العقل.
٣٤- الإسلام وقضايا العصر.
٣٥- الإسلام والعروبة والعلمانية.
٣٦- دراسات في الوعي بالتاريخ.
٣٧- الإسلام وأصول الحكم.
٣٨- تيارات الفكر الإسلامي.
٣٩- تيارات اليقظة الإسلامية والتحدي الحضاري.
٤٠- الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري.
٤١- الفريضة الغائبة، عرض وحوار وتقييم.
٤٢- الفكر القائد للثورة الإيرانية.
٤٣- الإسلام بين العلمانية والسلطة الدينية.
٤٤- ماذا يعني الاستقلال الحضاري لأمتنا العربية الإسلامية؟.
٤٥- جمال الدين الأفغاني المفترى عليه.
٤٦- الإسلام والمستقبل.
٤٧- العلمانية ونهضتنا الحديثة.

٤٨- الإسلام وحقوق الإنسان.

٤٩- الاستقلال الحضاري.

٥٠- معالم المنهج الإسلامي.

٥١- الإسلام والفنون الجميلة.

٥٢- الشيخ محمد الغزالي.

- كان الدكتور محمد عمارة في شبابه يسارياً متطرفاً إبان فترة توهج الفكر الماركسي اليساري في بلاد المسلمين، ثم تحول عنه في بداية السبعينات لما رأى ـ كما يدعي! ـ "سلبيته القاتلة" وأنه مجرد وافد على بلاد المسلمين، ومن ثم توجه عمارة إلى ما يسميه "الفكر العربي الإسلامي العقلاني المستنير".

- بعد رجوعه عن الفكر اليساري اتجه محمد عمارة إلى إحياء تراث المعتزلة قديماً والمدرسة العقلية (مدرسة الأفغاني ومحمد عبده) حديثاً.

يقول عمارة عن توجهه الجديد: "لقد استطعت أن أنجح في خلق(!) قارئ جديد. قارئ إسلامي ليس هو اليساري التقليدي، وليس هو الإسلامي التقليدي"! (رحلة في عالم الدكتور محمد عمارة، ص ١٠٧).

أي أنه حاول في توجهه الجديد أن يمزج الإسلام باليسارية التي كان يدين بها! بعد أن فشلت فشلاً ذريعاً في عالمنا الإسلامية ـ ولله الحمد ـ. وهذا دليل على بقاء تعلقه بذلك الفكر المنحرف واستنكافه وتكبره عن التراجع التام عنه ـ نسأل الله العافية وأن يرزقنا التوبة النصوح ـ.

انحرافاته:

١- غلوه في تعظيم العقل البشري القاصر:

يبالغ الدكتور عمارة ـ شأنه شأن أسلافه من المعتزلة وأتباعهم ـ في

تمجيد العقل البشري القاصر وإنزاله محلاً رفيعاً يجعله حاكماً على النصوص الشرعية لا محكوماً لها؛ وهذا مما أداه إلى رد كثير من النصوص والأحكام الشرعية التي لا توافق عقله.

يقول عمارة متحدثاً عن شيوخه المعتزلة ومؤيداً لهم: "قالوا إن الأدلة أولها العقل؛ لأنه به يميز بين الحسن والقبيح" (الطريق...، ص١٠٠) ويقول: "إن مقام العقل في الإسلام مقام لا تخطئه البصيرة ولا البصر.." (التراث...، ص١٨٣)، ويقول: "إن الإسلام لا يمد نطاق علوم الوحي والشرع إلى كل الميادين الدنيوية التي ترك الفصل فيها والتغير لعلوم العقل والتجربة الإنسانية" (الدولة الإسلامية، ص١٧٢).

قلت: وللرد على شبهات العقلانيين ـ ومنهم محمد عمارة ـ في تعظيم العقل وتقديمه على النقل يراجع كتاب "محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة" (من ص١٤٠ إلى ص٢٥٨).

وأكتفي هنا بنقل جميل عن الدكتور محمد رفعت زنجير ذكره في كتابه "اتجاهات تجديدية متطرفة" (ص٥٧)، يرد به على معظمي العقل على حساب النقل: يقول الدكتور: "وقضية تقديم العقل على النقل مطروحة من أيام المعتزلة، ونحن لا نرى إقحام العقل في تفاصيل قضايا الإيمان بالغيب، وصفات الله، والمتشابهات، لأن العقل محدود العلم، وما يجهله أكثر مما يعرفه، فلا ينبغي له أن يتدخل فيما يجهله، لأنه سيقود إلى نتائج غير سليمة. ونضرب لذلك مثلاً: لو أن إنساناً قبل عصر الطيران قال إن البشر سيطيرون من شرق الأرض إلى غربها في يوم واحد، لاتهمه الناس بعقله، فالعقل لا يقول بإمكانية ذلك آنذاك، أما اليوم فمن أنكر ذلك فهو الذي يتهم بالخبل، فإذا كان العقل عرضة

لتغيير أحكامه في أمور الدنيا تبعاً لمتغيراتها بين الأمس واليوم، فهو أكثر عرضة لتغيير آرائه بالنسبة للدين، يؤكد هذا أن الله تعالى كلما بعث نبياً، وأصلح الناس، قام الناس بعد رحيل نبيهم بتغيير المنهج وتحريف الرسالة، وهم يعتمدون في ذلك على ما تكن به نفوسهم ويخطر في عقولهم، ولو أنهم التزموا بما أنزل الله إليهم ولم يحرفوا، أو يبدلوا، لبقي المنهج سليماً، وساد الإصلاح، فالعقل قد يضل، أو يتبع الهوى، وليست جميع العقول مستنيرة ".

٢- اعتناقه واحياؤه لمذهب "المعتزلة":

سبق لنا أن الدكتور بعد أن ادعى الانخلاع من الفكر الماركسي لجأ إلى إحياء تراث فرقة المعتزلة بعد أن لفظته الأمة منذ قرون، محاولاً بذلك صرف شباب الأمة إلى هذه البدعة من جديد. يقول الدكتور ممجداً المعتزلة: "كان التوحيد بمعناه النقي المبرأ من الشبهات هو الذي دعا المعتزلة لنفي القدم عن القرآن..." (نظرة جديدة..، ص٩١)، ويخصص كتاباً كاملاً هو "المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية" لينصر فيه قولهم في القدر. ويقول عن شيخهم عمرو بن عبيد: "علامة بارزة على طريق تطور العقل العربي المسلم، وعلم من الأعلام الذين صنعوا النشأة الأولى للتيار العقلاني في تراثنا". (مسلمون ثوار، ص١٦١).

ولبيان انحرافات المعتزلة بإمكان القارئ الرجوع إلى رسالة "المعتزلة وأصولهم الخمسة" للشيخ عواد المعتق ـ وفقه الله ـ.

٣- اعتناقه واحياؤه لتراث تيار المدرسة العصرانية الحديثة:

وكما أحيا محمد عمارة تراث المعتزلة لتوافقه معهم في الغلو في العقل البشري على حساب نصوص الوحي، فإنه كذلك أحيا تراث

أتباعهم في هذا العصر؛ وأعني بهم مدرسة الأفغاني ومحمد عبده العصرانية، الذي يقول محمد عمارة، عن تيارهم: "أبرز تيارات التجديد في حركة اليقظة العربية في العصر الحديث" (العرب والتحدي، ص٢٩١) ويدعو الأمة إلى التزامه.

ولهذا أشرف الدكتور على طباعة ما سماه الأعمال الكاملة لكل واحدٍ منهم؛ نظرًا لتوافقه معهم في انحرافاتهم التي سبق في المقدمة ذكرها، ومن أبرزها: دعوتهم إلى الوطنية، والعلمانية، والاشتراكية،وتحرير المرأة،والتقريب بين الأديان والمذاهب.. الخ

وكما سبق في مقدمة هذه المجموعة ـ أيضاً ـ فقد رد العلماء والباحثون على هذه المدرسة، وبينوا انحرافاتها، وأنها في حقيقتها "علمانية" مستترة، وسلاح بيد الأعداء لتغريب ومسخ بلاد المسلمين. فبإمكان القارئ الرجوع إلى ما ذكرته من المصادر.

٤- من أخطر انحرافات محمد عمارة أنه لا يرى كفر اليهود والنصارى!! بل هم في نظره مؤمنون مسلمون! كما ذكر ذلك في كتابه "الإسلام والوحدة، ص٦٢٥،٧١،٧٠،٦٠". وفي هذا مخالفة لما علم من دين الإسلام بالضرورة؛ لأن الأدلة من الكتاب والسنة صريحة في تكفير من تدين بدين سوى الإسلام، وعلى هذا أجمع المسلمون. قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: "إن اليهود والنصارى كفار كفرًا معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام"[(١)]. وقال ابن حزم في مراتب الإجماع: "واتفقوا على تسمية اليهود والنصارى كفارًا"[(٢)].

---

(١) الفتاوى (٣٥/٢٠١).

(٢) مراتب الإجماع (ص ١١٩).

وقال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: "إن كل من زعم أن في الأرض ديناً يقبله الله سوى الإسلام فهو كافر لا شك في كفره". ومن أراد الأدلة التفصيلية فليراجعها في أصل الكتاب، وفي رسالة "الإعلام بكفر من ابتغى غير الإسلام" إعداد علي أبو لوز.

٥- ومن انحرافات عمارة دعوته إلى "الوطنية" التي تجمع المسلم بالكافر، وتجعله يتخذه ولياً من دون المسلمين من غير أهل الوطن، وقد قال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾[1]. ومع هذا يقول عمارة: "إيمان هذه الأمة بالوحدة الوطنية والقومية إيمان راسخ لا شك فيه"! (التراث...، ص٢٣٤).

٦- ومن انحرافات عمارة دعوته إلى القومية العربية التي تجعله يوالي العربي الكافر على حساب المسلم غير العربي ـ كما سبق ـ، وقد خصص ـ هداه الله ـ كتاباً يدعو فيه إلى هذا الأمر، سماه "الإسلام والوحدة القومية".

ولبيان انحرافات هذه الفكرة: راجع كتاب الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ عن القومية، وكتاب "فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام" للشيخ صالح العبود.

٧- ومن انحرافات عمارة دعوته إلى "العلمانية"! وقد يتعجب البعض من هذا وهم يقرؤون ويتابعون أن محمد عمارة يرد كثيرًا على من يسميهم "غلاة العلمانيين"، وقد خصص لهذا بعض كتبه ككتابه

---

(١) سورة آل عمران الآية ٢٨.

"العلمانية ونهضتنا الحديثة".

وسيزول عجب هؤلاء إذا علموا أن محمد عمارة يقسم العلمانية قسمين:

١- علمانية الغلاة؛ وهذه يرفضها ويرد عليها؛ وهي ما يسميه "العلمانية الغربية" التي تفصل الدين عن الدولة ـ كما يزعم ـ. (راجع كتابه: الدولة الإسلامية، ص٦٤).

٢- علمانية إسلامية! أو مستنيرة! وهي التي تقرر ـ كما يقول ـ أن "ما قضاه وأبرمه الرسول في أمور الدين عقائد وعبادات لا يجوز نقضه أو تغييره حتى بعد وفاته؛ لأن سلطانه الديني كرسول ما زال قائماً فيه. وسيظل كذلك خالداً بخلود رسالته ـ عليه الصلاة والسلام ـ. على حين أن ما أبرمه من أمور الحرب والسياسة يجوز للمسلمين التغيير فيه بعد وفاته؛ لأن سلطانه هنا قد انقضى بانتقاله إلى الرفيق الأعلى"!! (الدولة الإسلامية، ص٧٦).

إذن فالدين عند عمارة لا دخل له في أمور السياسة والحرب؛ ومعلوم أن هذا يشمل: علاقة المسلمين بغيرهم، وأحكام الجهاد، وأحكام الخلافة والولاية، وأحكام الحسبة، وأحكام الاقتصاد.. الخ. وإنما يتدخل الدين في أمور العقائد والعبادات فقط! فإن لم تكن هذه هي العلمانية فلا ندري ما العلمانية؟! ولا فرق بينها وبين ما يسميه بعلمانية الغلاة، بل يستويان في حكم الشرع عليهما بالكفر.

٨- ومن انحرافات الدكتور عمارة دعوته إلى الاشتراكية التي يسميها زورًا "بالعدل الاجتماعي"! كما في كتابه "الإسلام والثورة، ص٥٤،٥٣، ٧١،٧٠،٦٤،٥٧".

وقد بين علماء الإسلام حكم الاشتراكية المستوردة من الشرق بما لا مزيد عليه؛ فليراجع مثلاً كتاب الشيخ عبد العزيز البدري ـ رحمه الله ـ "حكم الإسلام في الاشتراكية"، ورسالة الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ "الاشتراكية في الإسلام".

٩- ومن انحرافات الدكتور: محاولته للتقريب بين أهل السنة والرافضة، كما في كتابه "عندما أصبحت مصر عربية، ص٧٤، ١١٣".

وقد بين العلماء عدم إمكانية مثل هذا التقارب الموهوم؛ لأنه لا توجد أرض مشتركة بين الطائفتين؛ طائفة الحق وطائفة الضلال، بل هما دينان مختلفان، إلا أن يكون ذلك على حساب أهل السنة بحملهم على التنازل عن كثير من عقائدهم إرضاء لأعداء الصحابة.

ومن أراد بيان استحالة مثل هذا الأمر وخطورته على أهل السنة؛ فليراجع رسالة الدكتور ناصر القفاري: "مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة".

١٠- ومن انحرافات الدكتور: دعوته إلى تغريب المرأة المسلمة، متابعة منه للعصريين من أمثال قاسم أمين تلميذ الشيخ! محمد عبده. "انظر كتاب عمارة: الإسلام والمستقبل، ص٩٩، ٢٢٧، ٢٣٧، ٢٤١" وكتابه الآخر عن المودودي (ص ٣٧١، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٧٨، ٣٨٠) حيث أباح سفورها واختلاطها وعملها في الفن والسياسة.. الخ.

وقد بين العلماء زيغ هذه الدعوة الماكرة وخطرها على نساء المسلمين ومجتمعاتهم في عدة رسائل ونصائح وتوجيهات. راجع منها: "عودة الحجاب" للشيخ محمد بن إسماعيل، و "حراسة الفضيلة" للشيخ بكر أبو زيد.

١١- ومن انحرافات الدكتور: أنه يرى أن الجهاد في الإسلام للدفاع فقط وليس للطلب! (انظر كتابه: الدولة الإسلامية؛ ص ١٣٦).

وهذا عين ما يردده المنهزمون الذين يريدون أن يُظهروا الإسلام أمام الناس بمظهر الوديع المسالم المتسامح! ولو أداهم ذلك إلى إلغاء شيء من أحكامه. ومن المحزن أن يتبنى هؤلاء فكرة قصر الجهاد في الإسلام على الدفاع فقط، رغم أن العدو لم يدعهم وشأنهم بل أصبح (يطلبهم) في ديارهم و"ما غزي قوم في دارهم إلا ذلوا".

ومن أراد الرد على هذه الفكرة المنهزمة فعليه بمحاضرة الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ "ليس الجهاد في الإسلام للدفاع فقط"، وهي منشورة في فتاواه ـ كما سبق ـ.

١٢- ومن انحرافات الدكتور: عدم أخذه بحديث الآحاد الصحيح في مجال العقيدة (انظر كتابه: الإسلام وفلسفة الحكم، ص ١١٨)، كما هو مذهب أهل البدع الذين ردوا كثيرًا من عقائد الإسلام بهذه الشبهة. وللرد عليهم راجع رسالة الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ: "الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام.

١٣- ومن انحرافات الدكتور: لمزه لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ بأنها عادت الفلسفة وعلم الكلام! (انظر كتابه: الطريق...، ص١٦٠).

ومعلوم أن هذه صفة مدح لا ذم! لأن علم الكلام والفلسفة علم مبتدع يحوي صنوفاً من الضلال، ويتناقض مع الإسلام، مهما حاول أصحابه ودعاته أن ينفوا ذلك. وقد بين هذا كثير من علماء الإسلام. راجع كتاب "ذم الكلام" للهروي.

١٤- ومن انحرافات الدكتور: لمزه المتكرر بالدعوة السلفية. يقول الدكتور: "نحن في مواجهة خطر السلفية النصوصية"! (المعتزلة..، ص٥).

(وانظر كتبه: نظرة جديدة..، ص١٣، والإسلام والمستقبل، ص٢٤٩).

ثم يصيبك العجب عندما ترى الدكتور يدندن كثيرًا بأنه من دعاة "السلفية"! فهل السلفية الحقة إلا اتباع نصوص الكتاب والسنة؟!

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء .

١٥-ومن انحرافات الدكتور: طعنه في بعض الصحابة ـ ﷺ ـ؛ كمعاوية بن أبي سفيان ـ ﷺ ـ؛ (كما في كتابه: الإسلام وفلسفة الحكم، ص ١٥٨). وهذا ليس بمستغرب من رجل متشرب لتراث المعتزلة أعداء الصحابة. ومعلوم ـ كما قال شيخ الإسلام ـ أن "من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ"[1].

١٦- ومن انحرافات الدكتور: مدحه للصوفية الملاحدة وأهل البدع . يقول عمارة عن ابن عربي الصوفي: "ابن عربي في التصوف الفلسفي قمة القمم"! (التراث..، ص ٢٩١).

ويقول عن رأس الاعتزال عمرو بن عبيد: "علامة بارزة على طريق تطور العقل العربي المسلم.."! (السابق، ص ٢٧).

ويقول عن غيلان الدمشقي القدري المعتزلي: بأن حياته كانت "نموذجاً فريداً..."! (مسلمون ثوار، ص ١٤٩). ولبيان حقيقة هذه الشخصيات المنحرفة وغيرها: راجع الأصل (ص ٦٥٣-٦٧٠).

١٧- ومن انحرافات الدكتور: تمجيده وفخره "بالثورات" التي قامت

---

(١) الفتاوى (١٥٢/٣) .

بها الطوائف المنحرفة في تاريخنا الإسلامي؛ كثورة الزنج، والعبيديين. ولبيان الحقيقة راجع الأصل (ص ٦٧١-٦٧٦).

ختاماً: هذه أبرز انحرافات الدكتور محمد عمارة الذي اختار عند انخلاعه من اليسارية والاشتراكية أن يستبدل ذلك بما يسميه "التيار الإسلامي المستنير"! الذي يلتقي أفراده على مجموعة من الانحرافات ـ سبق بيانها في مقدمة هذه المجموعة ـ، فأفسد ولم يُصلح؛ بل أشغل الساحة الإسلامية بخلافات ونزاعات كان في غنىً عنها لو ارتضى ما رضيه الله لعباده؛ من التزام شرعه واتباع كتابه وسنة رسوله ـ ﷺ ـ على فهم السلف الصالح. ولكن ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾[1]. نسأل الله لنا وله الهداية والتوفيق، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه.

---

(١) سورة الروم الآية ٤.